المعايير النصية في خطاب الإمام الحسين (ع) في كربلاء- السبك أنموذجاً -

م. د. عبد الحسن علي حبيب الناصر

المديرية العامة لتربية البصرة

ملخص البحث:

من النصوص التي شكّلت إرثاً حضارياً معرفياً مهماً هو ما ورد من خطاب للإمام الحسين (ع) الذي جسّد من خلاله معنى الحياة وبثّ فيه معنى الكرامة والإباء وأعطى بمضمونه قيمة للوجود الإنساني، وصقل فيه معنى الحرية للبشرية جمعاء. قمنا بدراسته على وفق المعايير النصية حيث وفرت لنا بشكل كبير فهماً عميقا لفحوى النص؛ كون الدراسات النصية لها الأثر الكبير في تكوين رؤية شاملة في كيفية إنتاج النص والظروف المحيطة به، وتسمح كذلك بإعطاء سياقات متعددة للفهم ومرونة ومنهجية أوسع في التفسير فهي الأقدر على كشف كوامن النصوص.

الكلمات المفتاحية: المعايير النصية، الخطاب، الإمام الحسين، كربلاء، السبك .

Textual Criteria of Imam Hussein's Speech in Karbala with Reference to Al Sibk

Dr.Abdul Hassan Ali Habeeb Al Nassir

General Directorate of Education in Basra

Abstract:

Out of those texts that can be seen as part of important cultural knowledge is the one concerned with Imam Hussein's speech through which the Imam formed the meaning of life referring to human dignity and pride. The imam (peace be upon him) presented the value of human existence. He highlighted the meaning of human freedom. The researcher has studied this text in terms of textual criteria since these textual elements have effects in communicating a comprehensive view for how to produce a text in general. These elements provide various contexts for understanding and for a vast flexible methodology in explaining since they can show the deep meaning of texts.

Key words: textual criteria, speech, Imam Hussein, Karbala, Al Sibk .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

المقدمة

إن اللغة هي أداة الاتصال والتواصل بين الأفراد الذين ينتمون إليها؛ فما هي إلا " أصوات يُعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم" على تعبير ابن جني. ومن أجل الوصول الى غاياتها وسبر أغوارها وكشف أسرارها؛ فإنّها كانت محط أنظار الدارسين والمتخصصين بهذا الميدان.

ومن أبرز تشكلات هذه اللغة وتجسداتها النصوص التراثية التي وصلت إلينا، ومن أهمها هو ما ورد عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) وما اثر عنهم من خطب ورسائل وأقوال، أخذت مجراها في بناء منظومة الفكر الإنساني.

ومن هذه النصوص التي شكّلت إرثاً حضارياً معرفياً مهماً هو ما ورد من خطاب للإمام الحسين (عليه السلام) الذي جسّد من خلاله معنى الحياة وبثّ فيه معنى الكرامة والإباء وأعطى بمضمونه قيمة للوجود الإنساني، وصقل فيه معنى الحرية للبشرية جمعاء.

لقد دُرِس هذا الخطاب عدّة دراسات وبمختلف المناهج ولا سيما بعد هذا الانفتاح المعرفي الكبير إلا إننا نرى بأن دراسته على وفق المعايير النصية يوفر لنا بشكل كبير فهماً عميقا لفحوى النص؛ لكون الدراسات النصية لها الأثر الكبير في تكوين رؤية شاملة في كيفية إنتاج النص والظروف المحيطة به، وتسمح كذلك بإعطاء سياقات متعددة للفهم ومرونة ومنهجية أوسع في التفسير فهي الأقدر على كشف كوامن النصوص والبحث عن طرائق اتساقها وانسجامها عبر آليات وأدوات محددة.

وبعد استنطاق لغة هذه النصوص تبيّن أنها زاخرة بالمعايير النصية التي تشكّل عماد الدراسة النصية؛ إذ تعدّ هذه المعايير من سمات النص الكامل إذا اختلت سمة واحدة منه أصبح النص ناقصاً، وهذه المعايير هي (السبك والحبك والقصدية والتناصية والمقامية والمقبولية والاعلامية)

وللسعة الكبيرة التي تخرج البحث عن نطاقه المحدد إذا ما تناولنا هذه المعايير جميعاً؛ لذا ارتأينا الوقوف على المعيار الأول فقط وهو (السبك) أو ما يعرف بالترابط الرصفي أو التماسك النصي الشكلي؛ وكونه يمثّل الركيزة الأساسية ضمن هذه المعايير في الدراسة النصية، ويحتل موقعاً مركزياً فيها. هذا من ناحية المنهج..

وأما من جانب الموضوع فإن للإمام الحسين (عليه السلام) خطباً في أكثر أماكن الرحلة المقدسة، في مكة وفي الطريق وفي كربلاء، فضلاً عن بعض الرسائل التي وجهها (عليه السلام) لمحمد بن الحنفية وزعماء البصرة وأهل الكوفة، وبعض الوجهاء من الامة. ولهذه السعة الكبيرة في المادة البحثية؛ ارتأينا تسليط الضوء على خطب الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء فقط من دون التعرض لغيرها، ونأمل أن يكون ذلك في قابل الأيام.

قُسِّمت الدراسة على مبحثين، أشرنا في المبحث الأول الى مفهوم التماسك النصي وأهميته في الدراسة النصية ودراسة النصوص. وتناولنا في المبحث الثاني أبرز جوانب التماسك النصي في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) من إحالة وتكرار وعطف.

انتهى البحث بخاتمة ضمت أهم نتائج البحث...

وأخيراً نسأل الله تعالى ان يتقبل منا هذا الجهد القليل ويرزقنا شفاعة مولانا الإمام الحسين (عليه السلام) والحمد لله أولاً وآخرا والصلاة والسلام على نبيه وآله أبدا .

المبحث الأول

مفهوم التماسك النصي

يأتي التماسك في اللغة مقابلاً لمعنى التفكك، ويعني بذلك الترابط التام بين أجزاء الكلم، بحيث لا ينفك أحدها عن الآخر.

جاء في اللسان" المَسِيك من الأَساقي التي تحبس الماء فلا يَنْضَحُ، وأرض مَسِيكة لا تُنَشِّفُ الماءَ لصلابتها وأَرض مَساك أيضًا"[١]. وإنّما سمِّيَ البخيل مسيكاً؛ لأنه يمسك الأموال ويضم بعضها إلى بعض[٢]. وعلى هذا فإن المعنى اللغوي للتماسك يشير الى معنى الصلابة والمتانة والشدّ والضمّ والربط.

أما في الإصطلاح فهو مقارب لمعناه اللغوي الى حد كبير، ويعني التلاحم بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، وترابط الكلمات بعضها ببعض حتى تكاد تصبح نسيجاً واحداً[٣]. فأجزاء الكلام يأخذ بعضها بعنق الآخر وتتتابع فقراته لتتلاحم مفاصل النص ويقوى البناء حتى يغدو كالسلسلة المنظومة المتلائمة الأجزاء.

إنّ ترابط الجمل بعضها ببعض يجعلها " مسؤولة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص"[٤].

يؤثر د. سعد مصلوح تسمية هذا المصطلح بـ(السبك) ويعني به " الوسائل التي تتحقق بها خاصية الإستمرارية في ظاهر النص surface text . ونعني بظاهر النص الاحداث اللغوية التي ننطق بها او نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها او نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث او المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته"[٥]. فالسبك إذن يتعلق بالبنية الشكلية أو السطحية للنص، ويتم عبر أدوات تعمل على رصّ الكلمات وتتابعها تتابعاً صحيحاً من الوجهة النحوية والمعجمية " على صورة وقائع يؤدي السابق منها الى اللاحق بحيث يتحقق الترابط الرصفي"[٦].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١ - المجلد ٤٦ - العدد ١

أهمية التماسك النصي

يعدّ التماسك النصي أساساً مركزياً في علم اللغة النصي والدراسات النصية؛ لذا فقد كان موضع عناية الدارسين والباحثين، ونتيجة لهذه الأهمية فقد جعل بعضهم عناوين كتبهم تحمل هذا المصطلح مثل كتاب هاليدي ورقية حسن (Cohesion in English).

إنّ من أهم ملامح نحو النص دراسة الروابط بين الجمل المكونة للنص؛ إذ تؤدي بدورها الى التماسك الذي يكوّن بدوره خاصية دلالية للخطاب[٧]. فمهمة نحو النص على هذا دراسة كيفية الارتباط بين الفقرات والاجزاء وبين المقدم والتالي، والاجابة عن سؤال ما هو الخيط والعلقة بين الأجزاء المكونة للنص جميعاً التي جعلت منه نسيجاً متكاملاً؟.

من هنا تنبع أهمية دراسة التماسك النصي الذي يعد قوام الدراسة النصية، بل جعله بعضهم المائز الحقيقي في التفرقة بين النصية واللانصية. يقول هاليدي ورقية حسن " نحن نحلّل النص عن طريق دراسة الخواص التي تؤدي الى تماسك النص، وتعطي عرضاً لمكوناته التنظيمية النصية "[٨].

إذن التماسك يعد شرطاً ضرورياً للتعرف على ما هو نص، وعلى ما ليس نصاً كما هو مبين في الشكل الآتي: [٩]

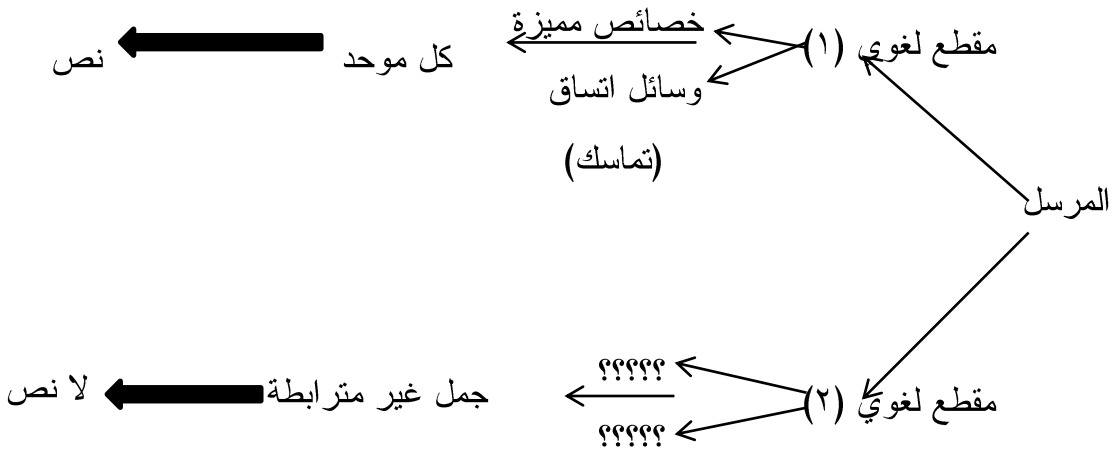

نخلص مما تقدّم أن أهمية التماسك النصي تكمن في[١٠]:

١- التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.

٢- إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية.

٣- التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك.

٤- الربط بين الجمل المتباعدة زمنياً.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

المبحث الثاني

من مظاهر التماسك النصي

عرفنا مما سبق أن التماسك النصي يعد الركيزة الأساسية في علم اللغة النصي، وفي الكشف عما هو نص أو غير ذلك، وأنه يزواج بين الروابط الشكلية النحوية للنص (السبك) والروابط الدلالية للنص (الحبك)، وقد آثرنا الإشارة الى الروابط الشكلية فقط من دون الولوج الى غيرها.

لقد تعددت آراء الباحثين حول أهم مظاهر التماسك إلا أن أفضل من أشار إليها د. صبحي إبراهيم الفقى فقسمها الى أدوات خارجية وعدَّ منها السياق والإحالة الخارجية أي التي تحيل الى أشياء وموجودات خارج النص، وأدوات داخلية أي أنها تكون داخل النص فقسمها إلى شكلية ودلالية وكما هو مبين في الشكل الآتي:(١١)

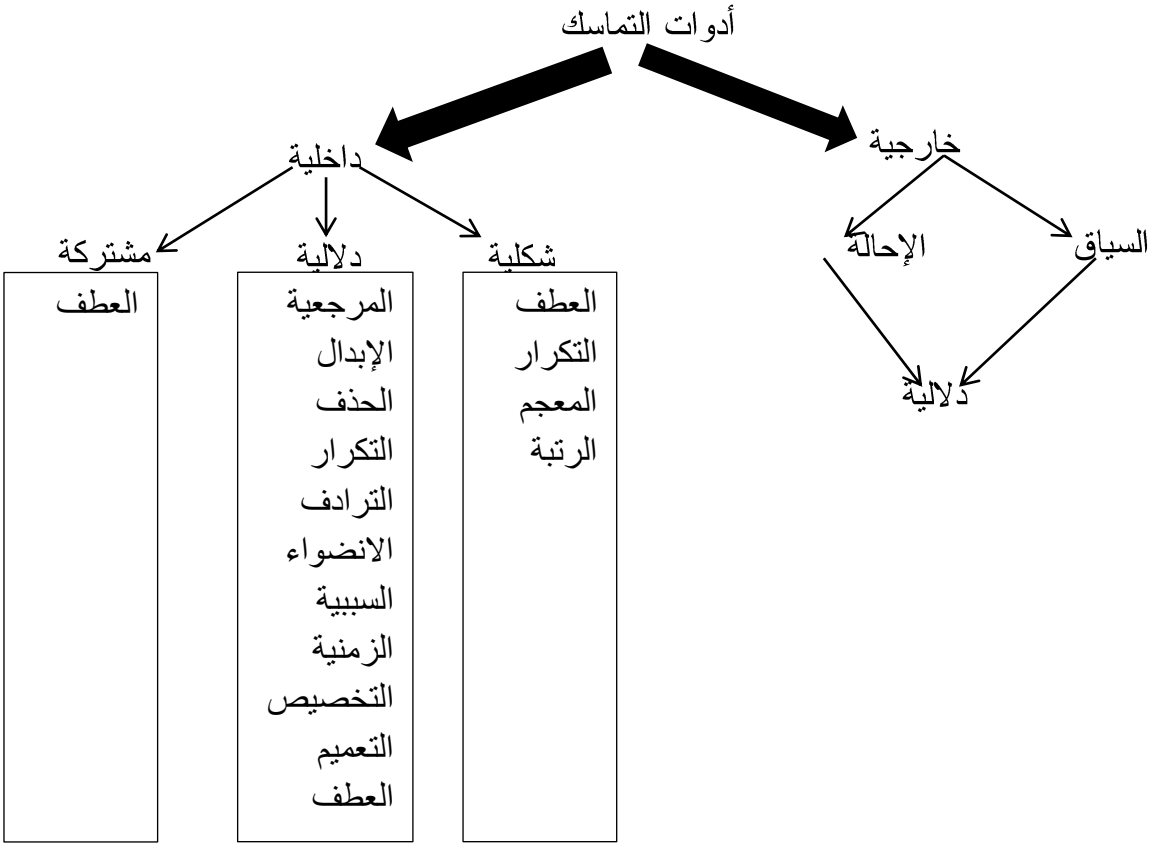

وما دمنا بصدد التماسك النحوي الشكلي سنشير الى أهم هذه المظاهر بروزاً في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) ولعل الإحالة هي أبرز تلك المظاهر وتحتل مرتبة الصدارة من بينها

أولاً: الإحالة: هي أهم وسائل تحقق التحام النص وتماسكه، تشير الى علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي، بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني، فلا بد من معرفة العنصر المحال إليه ليتم بذلك فهم العناصر الإحالية، هذا من جانب... ومن جانب آخر إن العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل، بل تكتسي دلالتها بالرجوع الى ما تشير إليه، أي لا يمكن فك شفرتها إلا بالرجوع الى ما تشير إليه؛

لذا وجب التطابق والتماثل بين المحال والمحال إليه[١٢]، فالإحالة إذن علاقة استرجاعية بين عنصر لغوي وآخر ضمن السلسلة النصية تغني عن تكرار ذلك العنصر مما يوفر الايجاز والاقتصاد اللغوي في النص، ولا يشترط في المحال أن يكون داخل النص، فقد يكون داخلياً وقد يكون خارجياً؛ لذا قسمت الإحالة على قسمين:

١- **إحالة نصية:** وهي التي تحيل فيها بعض الوحدات اللغوية على وحدات سابقة عنه (إحالة قبلية) أو لاحقة (إحالة بعدية) داخل النص.
٢- **إحالة مقامية:** أي تحيل الى أشياء وموجودات خارج النص.

إنّ الإحالة عموماً وسيلة من وسائل السبك ولها عدة صور من أهمها:

١- **الإحالة الضميرية:** وهي أكثر الإحالات شيوعاً، وتقوم الضمائر- بنظر علماء لسانيات النص- بدور فعّال في اتساق النص؛ لذا كان له الأثر المهم في أبحاثهم.

وشرط الإضمار الترادف التام في المعنى بين المحيل والمحال إليه، والضمائر نوعان: ضمائر تحيل الى خارج النص وهي ضمائر المتكلم والمخاطب. وضمائر تؤدي دوراً مهماً في اتساق النص وتماسكه، وهي ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً؛ إذ تحيل الى داخل النص[١٣]. وقد اكتنز خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا النمط من الإحالة لما يحمله من دلالات تعبيرية سهلة المعالم على مستوى ظاهر النص تارة، وبعيدة الغور كثيفة المعنى على مستوى باطن النص تارة أخرى.

ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته يوم عاشوراء " **تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سَلَلتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلْباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاّ لكم الويلات تركتمونا، والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدَّبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها، فسُحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن...**"[١٤].

نلاحظ بأنّ الإمام الحسين (ع) قد وزّع الضمائر الإحالية في مقدمة خطبته بصورة قصدية قد أدّت الى إبراز الدلالة المركزية وأسهمت في إحداث التماسك النصي كما مبين في الشكل:

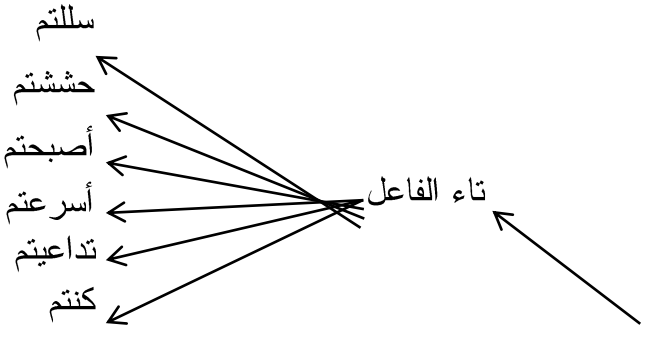

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

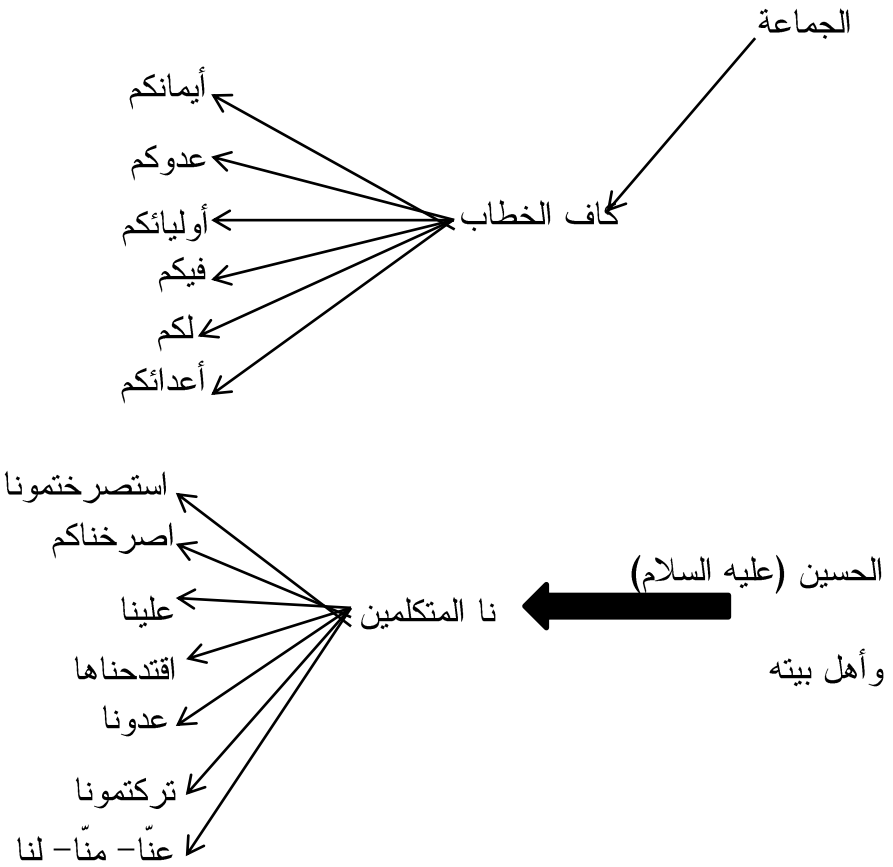

على الرغم من أنّ ضمائر المخاطب والمتكلم تشير الى أشياء وموجودات خارج النص، إلا إنهـــا أدّت دوراً فاعلاً وكبيراً في إثراء المعنى وتكثيفه، واقتصاداً لغوياً عناه المتكلم وقصده قصداً؛ إذ المقام يتطلب ذلك ويحتمه، فضلاً عن ذلك فإنَّ إستعمال الضمائر أغنى عن رتابة الاسلوب في التكرار الممل ممـــا أدى الـــى إحكام الإتساق النصي ضمن هذه الخطبة.

إنَّ الإحالة عموماً تحقق نوعاً من التوكيد وصقل المعنى في ذهن المتلقي واختزالاً يغني عـــن التكـــرار وربطاً بين المحيل والمحال إليه كقوله (عليه السلام) " **فأصبحتم إلْباً لأعدائكم على أوليـــائكم، بغيـــر عـــدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم** " نلاحظ بأنَّ الضمير في (أفشوه، وفيهم) يشير الى عنصـــر إحـــالي سابق مما أدى الى الربط بين الجمل في النص وجعله كلاً متماسكاً كما هو مبين في الشكل:

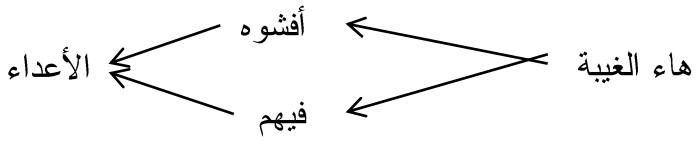

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

وقد يخفى المحال إليه ويضمر من غير وجود له في النص إنما يفسره السياق والمعنى، كما في قوله (عليه السلام) (**ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدَّبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها**) إنَّ العناصر المحيلة في هذا المقطع هي ضمائر الغيبة في (أسرعتم إليها، تداعيتم إليها) فما هو المرجع فيها؟ قد يكون الجواب للوهلة الأولى بأنّ المحال إليه هي الحرب والاحتشاد الكبير والنفرة العارمة والتكالب لقتال آل الرسول (ع) بقرينة قوله (ع) في بداية الخطبة (سللتم، وحششتم) فالسرعة والمسارعة والدعوة والتداعي كان لحربهم (عليه السلام). إلا أنّ هذا القول يتناقض تماماً مع القرينة اللفظية (نقضتموها) فضمير الغيبة فيها هو عينه في (إليها) فلا يعقل أنّ القوم قد نقضوا الحرب! وهم المسارعون والمتداعون إليها. يظهر بالتأمل بأن المرجع في الضمائر جميعها هي (البيعة) بقرينة قوله (عليه السلام) في بداية خطبته (أحين استصرختمونا) فاستصراخ القوم كان لبيعة الإمام الحسين (عليه السلام) وتخليصهم من الظلم المحدق بهم فلم يجدوا مأوى يلجؤون إليه غيره (عليه السلام) ولهذا تهافتوا إليه وأسرعوا نحوه يحثّون الخُطى في مبايعته والإقدام إليه.

وقد يأتي المحال إليه متأخراً عن المحيل؛ ولعل سبب التأخير يكمن في إرادة عنصر التشويق في الكلام، ودفع المتلقي لمواصلة آخره، من ذلك قوله (ع) " **وإن كذبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك** ...."[١٥]. نلاحظ أن مرجع الضمير في (سألتموه) متأخر عنه وفي ذلك تشويقاً للمتكلم في متابعة من نسأل؟ ثم أن الإمام ذكر الضمير بصيغة المفرد مع أن المرجع اكثر من واحد؛ ويظهر انّ السبب في ذلك انه (ع) اكتفى من هؤلاء القوم (المخاطبين) بسؤال أحدهم (المراجع) فقط، ينبئ صدق قوله (ع) في دعواه وقوله من أن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) قال فيه وفي أخيه " **هذان سيدا شباب أهل الجنة** "

وقد يكون المحال إليه لحدث سابق يُفهم ضمناً من سياق النص، فللسياق دور بارز في تحديد المرجع في الإحالة، كقوله (ع) " **أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يُركب الفرس**..."، فالضمير في (بعدها) يرجع لحدث سابق قد اشير إليه يُفهم من سياق ما ذكر، ولعل المراد منه (المعركة) وهو ما يوضحه مجمل المتتاليات الجملية السابقة.

٢- **الإحالة الإشارية:** إنّ الوظيفة الاساسية لأسماء الاشارة تبدو في توضيح مدى البعد أو القرب من المتكلم، وفي الدراسة النصية تؤدي دوراً مهماً في عملية السبك النصي؛ لكونها تحيل الى ملفوظ متقدم او متأخر، فينتج عن ذلك ترابط وتماسك بين المتتاليات الجملية في النص، أو أنها تحيل الى ما هو خارج النص.

فمن ذلك قوله (عليه السلام) يوم عاشوراء مخاطباً القوم " **أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: أنّ رسول الله (ص) قال لي ولأخي " هذان سيدا شباب اهل الجنة"؟ فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق،.....وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم...**"[١٦].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

إنَّ اسم الاشارة (ذلك) أدى دور الربط بإحالته على ملفوظ متقدم وهو نص قول النبي (صلى الله عليه وآله)، إذ لا يشترط في المرجع أن يكون لفظاً محدداً فقد يكون جملة وقد يكون نصاً كاملاً، مما جعل الخطاب متماسكاً باستحضار عنصر متقدم أو نص بأكمله.

ويكرر الامام (عليه السلام) هذه الاشارة في خطبته لأكثر من مرة فهي الطريق الواضح فيمن يدّعي اتباعه للنبي (صلى الله عليه وآله) فالأجدر والأحرى به أن يتمسك بقوله البيِّن، " **أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي..... فإن كنتم في شكٍ من هذا القول....**"[١٧]، وكل هذه الإشارات (هذه، هذا، هذا) كلها تعود على مرجع واحد وهي مقالة النبي (صلى الله عليه وآله)، فللإحالة هنا أثر بارز في تعزيز بنية التتابع الدلالي فضلاً عن الشكلي؛ إذ تقوم بربط السابق باللاحق شكلاً ودلالة.

وقد يكون المحال إليه (المرجع) سابق ولاحق في الوقت ذاته وهنا يؤدي اسم الإشارة دوراً مهماً في الربط بين متتاليتين من الجمل فيحقق بذلك السبك النصي. من ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) " **ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبية، من ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**"[١٨]، فاسم الاشارة (ذلك) يرجع الى ما يُفهم من الجملة السابقة وهو مبايعة الطاغية الدعي التي عبّر عنها الامام (ع) بـ(الذلة). وفي ذات الامر يشير اسم الاشارة الى الجملة اللاحقة وهي إيثار طاعة اللئام، فحقق اسم الاشارة تماسكاً وربطاً نصياً ضمن سلسلة التتابعات الجملية وكما هو مبين في الشكل:

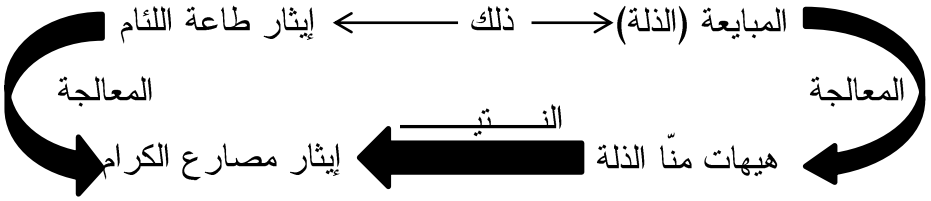

ثانياً: التكرار: هو مظهر من مظاهر التماسك المعجمي الذي يؤدي الى سبك النص، حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل بنية النص مما يحقق ترابط النص وتماسكه.

وهو إعادة العنصر المعجمي بلفظه، أو بشبه لفظه او بمرادفه، او بزنته أو بمدلوله، او ببعض منه أو بالاسم العام له، مما يؤدي الى تماسك النص وسبكه[١٩].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٦ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

إن للتكرار أثراً كبيراً في تماسك النص من خلال[٢٠]:

١- الاستمرارية: فإن الاستمرارية في تكرار كلمة بعينها، يسهم في تتابع النص وترابطه.
٢- شد النص وسبكه.
٣- كثافة الكلمات المكررة داخل النص.
٤- الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص.
٥- القدرة على خلق صور لغوية جديدة.

لا يقف التكرار عند وظيفته النصية، بل قد يتجاوزها الى وظيفة حجاجية إقناعية يقوم فيها المتكلم في اقناع المتلقي والتأثير فيه واستمالته.

أنماط التكرار:

١- **التكرار الصوتي:** ومنه الجناس الناقص الذي تتكررت معه بعض اصوات الكلمة في كلمة أخرى مجاورة لها من الايقاع نفسه، فيخلق ذلك التكرار الصوتي تكراراً معنوياً بين أجزاء النص يؤدي بالنتيجة الى السبك النصي، من ذلك ما ورد عن الامام الحسين (ع) في خطبته الأخيرة للقوم " **أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهده أبي عن جدي...**"[٢١]. فأدى التشاكل الصوتي بين (تدور دور) و(تقلق قلق) و(عهدٌ عهده) الى تكثيف الإيقاع الصوتي والدلالي في النص، مما أظهره بمظهر منسجم ومتسق، فالإيقاع هنا قائم على انتظام الحركة بين أزواج من الكلمات بينها تجانس صوتي مما أدى الى التكثيف في المعنى وأزال الرتابة عن المتلقي وسَبَك النص وقوّاه.
٢- **التكرار الشكلي:** إنّ إعادة العنصر المعجمي نفسه أو ما يسمى بالإحالة التكرارية يعد من أشد مظاهر التماسك المعجمي في بنية النص، وأقواها تمثيلاً وأكثرها حضوراً، فمن ذلك قوله (ع) مخاطباً القوم " **أفتشكون أثراً ما أنّي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة...**"[٢٣]. إنّ المتكلم قد يعمد الى التكرار لتحقيق غاية حجاجية اقناعية تؤدي الى إذعان المتلقي وتسليمه لمضمون الرسالة التي يبثها المتكلم، وهو ما حققه هذا النص من خلال تكرار (ابن بنت نبيكم) ثلاث مرات، فبالإضافة الى مساهمة التكرير في تماسك الخطاب وتوكيد الحجة، فقد حقق وظيفة أخرى وهي التداولية، أي لفت انتباه المتلقين الى أنّ لهذا الكلام أهمية خاصة لا ينبغي إغفالها، وترسيخ فحوى الخطاب في أذهان السامعين.

ومن ذلك قول الامام (ع) " **أمّا بعد فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟...**"[٢٤]. إنّ وجود المكرر في النص يساعد على فك شفرته وإدراك دوره الدلالي، نلاحظ هنا تكرر الفعل (انظروا) وهو طلب المتلقي من المخاطبين ليس في إمعان الفكر والتأمل فحسب، بل في محاسبة النفس ومعاتبتها على ما تقدم عليه؛ والسبب في ذلك راجع الى مكانة الشخصية وقربها من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) نسباً؛ ولذا يُشفِّع الامام (عليه السلام) بذكر نسبه

الطاهر وأنه ابن بنت النبي وابن وصيه وذكر حمزة وجعفر (عليه السلام)، ومن كانت هذه حاله أيصح معها أن تنتهك حرمته؟!

لقد أدى الفعل المكرر دوراً بارزاً في التماسك النصي، فقد أضاف معنى جديداً بتكرره ملازماً للأول وتابعاً له، فالمكرر الثاني في التأمل بعدم حلية انتهاك حرمة الامام ملازم للأول لنسبه ومكانته (من أنا؟)

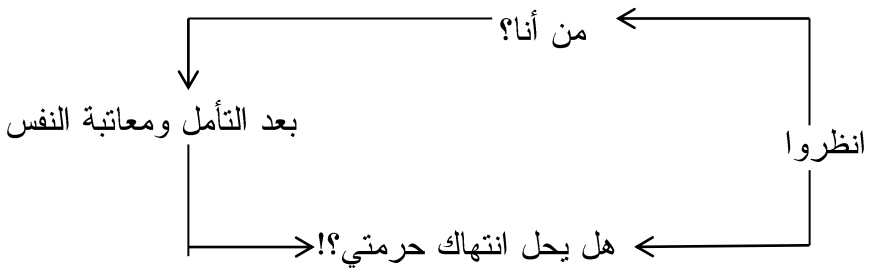

فضلاً عن ذلك نلاحظ الامام (ع) يكرر اسلوب الاستفهام الاستنكاري لأكثر من مرة مسلطاً الضوء على مركزية الخطاب ومحورية الإفهام جاعلاً لنسبه الطاهر مدخلاً للولوج الى عالم المتلقي الحفيف بالتناقضات المزعومة والافكار الفاسدة، فإثباته لنسبه المبارك من تلك الاسماء الطاهرة وما لها من مكانة في دنيا الاسلام ليغوص من خلالها لبيان شخصيته المستقلة عن النسب. يقول (ع) " **ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق برسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟..**"[٢٥].

لقد أوضح تكرار الاستفهام الاستنكاري تماسكاً نصياً وبياناً وظيفياً قصده المتكلم رغبة منه في ترسيخ الدلالة المركزية للخطاب لدى المتلقي ونقله الى عالم تجربة المتكلم أملاً بالتغيير؛ إذ أوضح الإمام الحسين (عليه السلام) نسبه ثمّ عرّج بعده مباشرة في بيان مكانته وحرمته بذكره حديث النبي (صلى الله عليه وآله) في حقه وحق أخيه الإمام الحسن (عليه السلام).

ثالثاً: العطف: يعد العطف أحد الوسائل المهمة لتماسك النص؛ لأنه يعمل على تقوية الروابط بين المتتاليات الجملية في النص وهو " عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة الى مجموعة من المتواليات السطحية بعضها ببعض. بطريقة تسمح بالإشارة الى هذه المتواليات النصية"[٢٥]. فالعطف يختلف عن بقية أنواع التماسك النصي؛ لكونه يوصل وصلاً مباشراً بين جملتين أو مقطعين في النص، أي أنه يؤدي الى جمع أشتات الجمل المتباعدة، وهذا لا يعني بطبيعة الحال عدم وجود رابط بين المتواليات الجملية في النص، بل أن ما تقوم به الروابط البلاغية[٢٦] هو جمع تلك المتواليات التي تتسم بالتباعد.

قد يفرض السياق نمطاً محدداً ونوعاً لأداة الربط ففي قول الامام الحسين (عليه السلام) " **أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين...**"[٢٧]، جاء الرابط هنا(الفاء) وهو يفيد معنى الترتيب

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

والتعقيب[٢٨]، أي في ظرف الاستصراخ ونداء الاستغاثة جاء الإصراخ والانقاذ من غير وجود فسحة زمنية. نلحظ هنا أن السياق قد حتّم مجيء الفاء كرابط بين الجملتين؛ ذلك أن النداء المتصاعد والخوف الشديد الذي احاط بالأمة وولهها كالتي ذُبح ولدها في حجرها، كان يستدعي من الامام تلبية نداء الامة لإنقاذها مما هي فيه، فجاءت سرعته بالاستجابة على وفق ما يصوره الإمام بـــ(موجفين) وهو الإسراع الشديد في التلبية، فتطلب الاتيان برابط بين الحدثين حدث (الاستصراخ) وحدث (الإصراخ) وما ذلك الرابط إلا الفاء.

إنّ الخطبة الأخيرة للإمام الحسين (ع) بمجملها التي صوّر خلالها غدر القوم به، قد استعمل فيها الإمام للربط بين المتواليات الجملية حرف (الفاء)؛ نتيجة للإحداث السريعة وسرعة الغدر والانقلاب الذي قامت به الأمة هذا من جانب، ومن جانب آخر سرعة البلاء والانتقام الذي ستواجهه الامة بعد مصرع الامام الحسين (ع) على نحو ما تصوره الأحداث بحسب قوله (ع)[٢٩]:

١- فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم ← سرعة الغدر
٢- فهلا لكم الويلات ← سرعة البلاء
٣- فسحقاً لكم يا عبيد الأمة ← سرعة البلاء
٤- فكنتم اخبث شجرة شجاً للناظر ← نتيجة سرعة الغدر

إن أدوات العطف تجعل من المتواليات الجملية مساراً خطياً فضلاً عن أن العطف يقوم بتوليد علاقات دلالية أفقية على مستوى الجملة، وعلاقات دلالية رأسية على مستوى النص، والعلاقات التي تؤديها أدوات العطف يمكن إجمالها على ما ذكره دي بوجراند بـــ[٣٠]:

١- مطلق الجمع ٢- التخيير ٣- الاستدراك ٤- التفريع .

يقول الامام (ع) في أول نزوله كربلاء " **أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل...**"[٣١].

من خلال تتبع المتتاليات الجملية والروابط بينها في هذا النص نلاحظ ما يأتي:

١- الفرق الدلالي بين الجملة الطلبية التي فعلها الامر(اسمعوا) والجملة الطلبية التي فعلها المضارع المجزوم بـــ(لا الناهية) (لا تعجلوا)، فالفرق المفهومي بيِّنٌ وواضحٌ بين السماع وعدم العجلة، فالحقل الدلالي لكليهما يتسم بالتباعد. إلا إنّ هذا لا يعني عدم وجود رابط دلالي بين كلا الجملتين؛ إذ يستحيل السماع والانصات وتفهم القول مع وجود العجلة، ولعقد هذه الصلة ولتوثيق عُرى الترابط بينهما عمد المتكلم الى ربطهما بحرف العطف (الواو)؛ ولذا قال (ع) " **اسمعوا قولي ولا تعجلوا...**"

٢- الفرق الدلالي بين (الموعظة) من جهة، و(الاعتذار) من جهة أخرى في قوله (ع) (حتى أعظكم) و (حتى اعتذر إليكم) فكل جملة من الممكن أن تؤدي معنى دلالياً مستقلاً عن الأخرى فيما لو سقط الرابط، فجاء حرف العطف الواو ليربط بين دلالة كل من الجملتين ويجاور بينهما ليؤدي الى تلاحم النص وتماسكه.

الخاتمة ونتائج البحث

١- على الرغم من أنَّ الإحالة الخارجية لا تشكِّل ترابطاً نصياً، إلا إنها أدت في خطاب الإمام الحسين (ع) دوراً فاعلاً في إثراء المعنى وتكثيفه.

٢- تأخر المحال إليه في خطابه (ع) عن المحيل كان له الأثر الكبير في تشويق المتلقي لمتابعة الخطاب مما حقق التواصلية بين المتكلم والمتلقي.

٣- وظَّف الامام الحسين (ع) التكرار توظيفاً حجاجياً أدى الى إذعان المتلقي وتسليمه لمضمون الرسالة.

٤- تكرار الاستفهام الاستنكاري في خطابه (ع) عدَّ خصيصة أسلوبية فرضها سياق الموقف.

٥- استعمال الامام الحسين (ع) لحرف العطف الفاء بكثرة للربط بين المتتاليات الجملية، كان لها الدور البارز في التماسك النصي الشكلي وإضفاء قيمة دلالية للنص.

الهوامش

(١) لسان العرب: مادة (مسك).

(٢) ينظر: الصحاح مادة (مسك).

(٣) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ١٣٦.

(٤) منهج في التحليل النصي للقصيدة: تنظير وتطبيق، مجلة فصول، صيف ١٩٩٦م، ١١٠.

(٥) نحو آجرومية للنص الشعري: ١٥٤.

(٦) النص والخطاب والإجراء:

(٧) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٣

(٨) نحو النص: ٩٥

(٩) ينظر: لسانيات الخطاب: ١٢

(١٠) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٠٠/١

(١١) ينظر نفسه: ١٢٠/١

(١٢) ينظر: نسيج النص: ١١٨

(١٣) ينظر: لسانيات النص: ١٨

(١٤) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤

(١٥) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤

(١٦) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٥/٤

(١٧) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤

(١٨) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٦/٤

(١٩) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٣

(٢٠) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي، بحث: ٢٤-٢٥

(٢١) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٥/٤

(٢٢) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤

(٢٣) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٨/٤
(٢٤) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٦/٤
(٢٥) نحو النص: ١٢٨
(٢٦) ينظر: نحو النص: ١٢٨
(٢٧) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤
(٢٨) ينظر: الطراز٢/٢٦
(٢٩) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤
(٣٠) ينظر: الخطاب والنص والاجراء: ٣٤٦-٣٤٧
(٣١) موسوعة الإمام الحسين (ع): ١١٤/٤

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- الخطاب والنص والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٨م.

٢- الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، ترتيب وتصحيح إبراهيم شمس الدّين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣- الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣١ه، ٢٠٠٠م.

٥- علم لغة النص المفاهيم والإجراءات، د. أحمد عفيفي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٦- لسان العرب، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مكرَّم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

٧- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٨- موسوعة الإمام الحسين (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الري شهري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م.

٩- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

١٠- نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١

ثانياً: الدوريات

١- منهج في التحليل النصي للقصيدة: تنظير وتطبيق، مجلة فصول، صيف ١٩٩٦م.

٢- نحو آجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، مجلد ١٠، عـــدد ٢/١، أغســـطس، ١٩٩١م.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٦ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢١